الباب الثانى

الاعلام والعولمة

obeikandl.com

obeikandl.com

الإعلام العربي في ظل العولمة :

يواجه الإعلام العربي في ظل العولمة وتداعياتها، تحديات كبيرة لاسيما مع التقدم التكنولوجي الهائل الذي ولّد آليات جديدة كثيرة للهيمنة، ومع هيمنة الخطاب الإعلامي التصادمي ورواجه بين النخب الفكرية والسياسية والعسكرية الغربية الأمريكية على وجه الخصوص ولقد تصاعد اهتمام وسائل الإعلام الغربية بالشأن العربي والإسلامي منذ تسعينات القرن الماضي، وزادت وتيرته منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر على الولايات المتحدة الأمريكية لاسيما مع بروز مثقفين وخبراء في الشؤون الجيوسياسية والاستراتيجية والأمنية إلى واجهة المنابر الإعلامية الأمريكية وتقديم العالم العربي والإسلامي باعتباره العدو الجديد للغرب مما أدى إلى خلط المفاهيم والمقولات الثقافية والحضارية والسياسية التي أنتجت الرهاب العربي والإسلامي.

ولقد بات الإعلام العربي في الوقت الراهن تحت ضغطين بارزين هما: ضغط العولمة التكنولوجي وضغط العولمة الأيديولوجي لاسيما مع بروز المستشرقين الإعلاميين، أو كما يسميهم فانسان جيسر بالمثقفين الإعلاميين الذين تزعموا المنابر الإعلامية، فاكتسحوا قطاعات واسعة من الرأي العام الغربي بتقديم مفاهيم مشوهة عن الإسلام وعن العرب

والمسلمين بأسلوب التعميم، مما ألقى على الإعلام العربي مسؤولية كبرى للخروج من هذا المأزق الكبير فكيف أثّرت العولمة تكنولوجيًّا في الإعلام العربي؟وما هي انعكاساتها الأيديولوجية عليه؟

تعتبر العولمة من إفرازات النظام العالمي الجديد، بل تُعد قوام هذا النظام ولها صلة وثيقة بتجديد الغرب لنفسه،وبتجديد رؤيته للعالم وفهمه للآخر، وبالتالي العلاقة معه هذه العلاقة التي انقلبت من القهر المباشر أي الاستعمار والصراع الأيديولوجي في فترة الحرب الباردة وعهود ما بعد الاستقلال في الدول المستعمَرة إلى الاختراق في شتى صوره ولقد اختُلف في تحديد مفهوم العولمة في اتجاهات أربعة، وهي:

الاتجاه الأول: يراها حقيقة تاريخية.

الاتجاه الثاني: يراها مجموعة تجليات لظاهرة اقتصادية.

الاتجاه الثالث: يراها هيمنة للقيم الأمريكية.

الاتجاه الرابع: يراها ثورة تكنولوجية.

وإن كان علم الاقتصاد يُعد أسبق فروع العلم في الكشف عن مقومات ظاهرة العولمة وخصائصها، ورصد تأثيراتها الآنية والمستقبلية؛ حيث أسفرت إسهامات علماء الاقتصاد في هذا المجال عن بروز رؤيتين هما:

الرؤية التقليدية، وترى أن مصطلح العولمة يشير إلى تحول العالم إلى منظومة من العلاقات الاقتصادية المتشابكة التي تزداد عمقاً من خلال تحرير التجارة الدولية، وتشجيع تدفقات رؤوس الأموال وتيارات هجرة العمالة عبر الحدود، وانتشار استخدام التكنولوجيا وشبكات المعلومات والتيارات الثقافية والتحويل للقطاع الخاص فيما يعرف بسياسة الخصخصة أما الرؤية النقدية ذات المنظور التاريخي، فيرى أصحابها أن العولمة ليست ظاهرة جديدة، وأنها بدأت منذ القرن السابع عشر أو قبله بقليل مع بدء عملية الاستعمار الغربي لآسيا وأفريقيا والأمريكتين، مقترنة بتطور النظام التجاري الحدي في أوروبا فالتاريخ الاقتصادي للعالم، هو تاريخ توسيع الأسواق ورفع الحدود والحواجز والثورة الصناعية بشكلها التقليدي كما ظهرت في منتصف القرن الثامن عشر في إنجلترا ثم انتشرت في أوروبا في العقود التالية، بدأت هذه الثورة تدخل مرحلة جديدة من مسيرة التطور التكنولوجي اعتباراً من ستينات القرن العشرين الميلادي حيث انتقل مركز الثقل في الثورة التكنولوجية إلى مجال المعلومات ثم الاتصالات، ولم يعد الأمر متعلقاً فقط بإنتاج المزيد من السلع والأشياء، بل أصبح الأمر متعلقاً أيضاً بتداول المعلومات ومعالجتها ونقلها والانتقال من اقتصاد السلع العينية إلى اقتصاد المعلومات.

ومصطلح العولمة ارتبط فكرياً وتاريخياً بانهيار المعسكر الشيوعي وانفراط المنظومة الاشتراكية مع سقوط الاتحاد السوفيتي وإذا كان ظهور العولمة، قد ارتبط تاريخيًّا بسقوط الاتحاد السوفيتي؛ فإنها فلسفيًّا وفكريًّا، قد ارتبطت بالعديد من النظريات والأفكار، مثل: تعميم الليبرالية الغربية على العالم وخطابات النهايات: نهاية التاريخ، نهاية الإنسان، نهاية الدولة، نهاية الأيديولوجية، نهاية الديمقراطية إلخ مما جعل العولمة تتعدى البعد الاقتصادي إلى أبعاد أخرى، لاسيما البعد الثقافي الأمر الذي أدى إلى ردود أفعال كثيرة ضد هذه الظاهرة، وطرح تساؤلات عديدة حولها لاسيما بالنسبة لشعوب العالم الثالث.

الإعلام العربي وتحديات العولمة

يعتبر الإعلام في الوقت الراهن الأداة الأولى للتوجيه ورسم التصورات وترسيخ الأفكار ونقل العادات والتقاليد، لاسيما المرئي منه الذي أصبح أكثر تأثيراً في تكوين شخصية الإنسان من أية وسيلة أخرى لذلك أصبح الإعلام، كما يرى محمد فاتح الراوي، علماً له مقوماته ومعاهده وشروطه وتقنياته ومتخصصوه، وفنًّا له مستلزماته وأدواته كما أصبح ثمرة تشارك في إنضاجها كل المعارف والعلوم وتوظف لها أرقى الخبرات، فصار صناعة من الصناعات الثقيلة التي لها مؤسساتها

ومخططاتها، بل لعل نصيب الدعم الإعلامي في كثير من الدول اليوم من الميزانيات يفوق الدعم الغذائي والصحي.

وأصبح بحكم تطور العصر أن من يسيطر على وسائل الإعلام ويتحكم في آلياته، هو وحده الذي يمكنه التحكم في صناعة المستقبل ولقد جاءت العولمة بتحديات عديدة في شتى المجالات، فظهر معها الجدل الفكري حول التحدي الذي تفرضه على السيادة القومية للإعلام ففي ظل العولمة التي تسعى إلى طمس الحواجز وإلغاء الحدود ومع التطور الهائل في وسائل الإعلام والاتصال، تقلَّصت السيادة القومية للإعلام وكذا بفعل تراجع المفاهيم التقليدية حول السيادة القومية في ظل فكر العولمة بظهور تقسيمات جديدة للعالم قائمة على أساس الجغرافية الفضائية.

يواجه الإعلام العربي في الوقت الراهن تحديات كبيرة فرضها عصر العولمة، وما حدث فيه من تطورات تكنولوجية وأيديولوجية حيث يتجاذب الإعلام العربي في ظل العولمة طرفان، هما ضغوط العولمة التكنولوجية وضغوط العولمة الأيديولوجية.

١ـ ضغوطات العولمة التكنولوجية

شهدت تسعينات القرن الماضي تزاوجاً بين تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، مما أدى إلى ظهور الاتصال المتعدد الوسائط الذي يركز

على تطور الحاسبات في جيلها الخامس حيث لعبت الولايات المتحدة باعتبارها أول منتج لتكنولوجيا الاتصال وموطن الشركات الرئيسة في، دوراً كبيراً في فتح الحدود أمام التدفق الحر للمعلومات وأمام صناعة الاتصال الأمريكية.

والاتصال متعدد الوسائط أصبح جهازاً إعلاميًّا ووسيلة هامة من وسائل الاتصال المتفاعل ويؤدي دور الصحيفة والكتاب والراديو ودور التليفون ودور الحاسب الآلي المتصل بأكثر من شبكة اتصال يمكن معها الحصول على المعلومات من أي مكان في العالم، ويؤدي الكثير من الوظائف مثل عمليات البيع والشراء وحجز تذاكر السفر والاستشارات الطبية ومجالات التعليم والترفيه والتسلية والتعاون ومعاملات البنوك وعقد الصفقات وقد أدت هيمنة الغرب على شبكة الإعلام والمعلومات بشكل مطلق إلى الاحتكار الإعلامي الذي أدى إلى انعدام العدالة في ظل النظام الإعلامي الدولي، وعدم القدرة على إدارة المنافسة الحرة بين الاتجاهات السياسية والفكرية والدينية والجماعات العرقية داخل المجتمعات الغربية، أو بين الشعوب والحضارات والثقافات على مستوى العالم.

كما أدى تركز تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في دول الشمال الغنية إلى تحول دول الجنوب إلى سوق للاستهلاك الإعلامي والإعلاني وتجسد ذلك في زيادة اعتماد دول الجنوب على البرامج الإخبارية والمسلسلات

والإعلانات الغربية، على الأخص الأمريكية وقد ترتب على ذلك زيادة هيمنة الاتصال لدول المركز المتحكمة في العولمة على دول الأطراف كما أدى إلى تدفق الثقافة المركزية الغربية والمعلومات بلا ضوابط وفي إطار تنافسي تجاري بحت.

ففي إطار إغراق سوق الثقافة بالقيم والمفاهيم الغربية، لاسيما الأمريكية منها يشير د. صباح ياسين إلى أن القنوات الفضائية العربية تستورد ما معدله ١٧ % من برامجها من السوق الأمريكية وفي المقابل، أضحت بعض شركات الإنتاج التلفزيوني العربي وقنوات البث الفضائية والمحلية تستعير أفكاراً وبرامج ترفيهية أمريكية، بل إن بعضهما حوّل الشاشة إلى نواد ليلية لعرض فقرات استعراضية ترفيهية مماثلة لما تعرضه أكثر القنوات تطرفاً في عرض مشاهد الإغراء والجنس في أمريكا وأوروبا ويؤكد زبيجنيو بريجنسكي، أنه ليس هناك بلد في العالم يستطيع أن يداني الولايات المتحدة الأمريكية في تصدير البرامج التلفزيونية إلى الخارج، إضافة إلى الأفلام التي تبلغ أكثر من ٥٠ % مما يشاهد العالم.

لقد أصبح الإعلام العربي في ظل العولمة يعاني من التبعية، حيث يمكن حصر مظاهرها في ثلاثة جوانب هي:

١- تبعية في تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

٢- تبعية في تدفق الأخبار والمعلومات.

٣- تبعية في مجال البحوث والدراسات الإعلامية والاتصالية.

لقد أدت العولمة من خلال مركزية الشركات الكبرى للاتصالات والمعلومات إلى تشكيل أكبر قدر ممكن من الاحتكارات حيث أصبح الإعلام ظاهرة تأخذ عدة أوجه، تجعل من الصعوبة الفصل بين إعلام للداخل وآخر للخارج ولعل من أبرز وجوه هذه الظاهرة وفقا لتصور مكويل:

- النقل المباشر أو توزيع قنوات اتصال أو نشر مطبوعات كاملة من قطر إلى متلقين في أقطار أخرى ومن الأمثلة على ذلك الصحف ومن بينها الطبعات الخاصة ببلدان معيّنة وقنوات تلفزة فضائية وبث إذاعي تحت إشراف رسمي وكتب.

- أجهزة اتصال عالمية مثل CNN BBC MTV أوروبا.

- مواد مختلفة من أفلام وموسيقى وبرامج تلفزية وفقرات صحفية ترسل لتكون بعد ذلك من أركان الإعلام المحلي.

- أنواع مختلفة من المواد الأجنبية يجرى تبنيها وتحويلها لتكون ملائمة للمتلقين في أبناء قطر آخر.

- فقرات إخبارية عن قطر أجنبي، أو تصنع في بلد أجنبي ثم تظهر بعد ذلك في أجهزة الإعلام الوطنية.

- ومواد متفرقة مثل: الأحداث الرياضية والإعلانات والصور المحمّلة بدلالات أجنبية.

والعوامل التي تجعل مركزية هذه الشركات متحكّمة ما تتمتع به التكنولوجيا الجديدة من قدرات، لاسيما القدرة العالمية للكمبيوتر والإنترنت والتلفزة عبر الأقمار الصناعية التي تتحكم فيها هذه الشركات.بل تشكّل الجهاز العصبي لها، حيث توظفها لخدمة أغراضها.

لقد أصبح العالم اليوم متلاصقاً بفضل تكنولوجيا الاتصال التي تتحكم فيها مع الأسف الدول الأكثر تقدماً، فهناك الأقمار الصناعية والمحطات الفضائية والأقمار الصناعية المتصلة بمحطات أرضية أو ما يسمى بأقمار التوزيع التي يمكنها نقل المكالمات الهاتفية والبرقيات ووسائل التيلكس، وهناك أقمار البث المباشر في المدار الثابت والتي تحمل معدات الإرسال أو القنوات القمرية وهي أجهزة مستقبلة مرسلة مع الانتقال من نظام البث العادي إلى النظام الرقمي إلى التلفزيون عالي الجودة والإرسال بواسطة الأسلاك والألياف الضوئية التي تحمل الحزمة الواحدة منها أكثر من مائة قناة، وقد أتاحت تكنولوجيا الاتصال الفرصة كاملة أمام الدول الأكثر تقدماً في إحكام سيطرتها على العقول ومقدرات الدول

الأخرى، بعد أن دخل عنصر التسلط التكنولوجي جنباً إلى جنب مع التسلط الاقتصادي والسياسي وتسلط الثقافة الأقوى وهذا ما لا يتوفر الإعلام العربي، حيث يشير د. عبد الكريم أعراب إلى أن العرب تأخروا في تعميم الوسائل الحديثة، والمواطن العربي لا يتمتع بالإمكانات نفسها التي يتمتع بها مواطنوا بلدان لها الدخل نفسه أو أقل.

كما يشير تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٣م إلى أن مؤشر نفاذ الوسائط الإعلامية (الصحف، أجهزة الراديو، والتلفزيون لكل ١٠٠٠ شخص) ضعيف في البلدان العربية فعدد الصحف مثلاً لكل ألف شخص بلغ ثلاثة وخمسين، في حين وصل إلى مائتين وخمس وثمانين صحيفة لكل ألف شخص في البلدان المتقدمة، وجهاز التلفزيون سجل مائة وستون لكل ألف شخص في البلدان العربية مقابل ست مئة وواحد وأربعين جهازاً في البلدان المتقدمة هذه المؤشرات الثلاثة تصنف البلدان العربية ما قبل الأخيرة، وتتفوق بشكل طفيف على الدول منخفضة الدخل، وتبقى أقل دائماً من المتوسط العالمي.

وتشير الدراسات إلى أن عدد مواقع عشرة دول عربية تصل إلى ٢٧٩٧ موقعاً، في حين مثلاً لإسرائيل وحدها ٢٩٥٠٣ موقعاً وعدد مواقع الثقافة الإسلامية ٢٢٨ موقعاً بينما عدد مواقع الثقافة اليهودية ٧٠٢موقعاً.

كما تسيطر الولايات المتحدة الأمريكية وحدها على أكثر من ٦٥% من تدفق الأنباء في العالم، و٣٥% من عمليات النشر، و 64% من الإعلام، و٤٥% من التسجيلات، و٩٠% من أشرطة الكاست والأخبار، و٢٨% من أغاني الإذاعة، و٧٥% من البرامج المرئية، و٧٢% من صناعة أجهزة الكمبيوتر والأجهزة الإلكترونية، وأكثر من ٩٠% من المعلومات المودعة في بنوك ومراكز المعلومات في العالم.

والمتتبع لتدفق الأخبار على المستوى الدولي، يلاحظ مدى احتكار الدول المتقدمة لمصادر الخبر إضافة إلى ممارسات التمييز فعادة ما تقوم مصادر صناعة المعلومات بترويج الخبر السار لصالحها، والخبر السيئ تستخدمه في حق غيرها بهدفين: هدف تحذيري لجماهيرها، وهدف لخلق التوازن الخبري الأمر الذي يشد الاهتمام ويبعد تدفقه عن الروتينات، فالأخبار ليست كلها سارة مثل الحياة فيها الحلو والمر - الخير والشر وبهذا صار الخبر السيئ مادة للبحث العلمي، وتقارير بعض مراكز البحوث والمنتديات العلمية.

ولعل الأخطر من احتكار المعلومات ومصادر الخبر وممارسات التمييز، هو التضليل حيث يقوم بعض المكاتب على وجه الخصوص في الولايات المتحدة الأمريكية بحملات تضليل لوسائل الإعلام في كافة أرجاء العالم، فالتضليل أصبح له تقنياته حيث أفادت الأخبار أن مكتباً متخصصاً قد

أنشئ في البنتاجون تحت اسم مكتب التأثير الاستراتيجي عقب ١١سبتمبر ٢٠٠١م ليقوم بحملات تضليل لوسائل الإعلام في كافة أرجاء العالم، وصرح عدد من المسؤولين المدنيين والعسكريين الأمريكيين بأنهم بصدد تطوير برنامج يستهدف التأثير على صانعي القرار وراسمي السياسات الإعلامية، وموجهي الرأي العام عبر توزيع تقارير ومواد إخبارية، قد تكون مضللة وزائفة، على المؤسسات الإعلامية وبطرق غير مباشرة ولا تقليدية ولا يستثنى من ذلك حتى الدول الصديقة والحليفة لأمريكا.

٢ـ ضغوط العولمة الأيديولوجية

لقد سعى رموز العولمة في ظل وسائل الإعلام المعولمة ومع التفاوت الكبير بين الشمال والجنوب في موارد الاتصال ومصادر المعلومات وأنماط التدفق الإعلامي، إلى محاولة اختراق المنظومة الثقافية لدول الجنوب بهدف الترويج للفكر العولمي،وتشويه صورة الآخر، خاصة الآخر العربي والمسلم الأمر الذي أصبح يشكّل تحدياً كبيراً أمام الإعلام العربي على وجه الخصوص لاسيما مع ظهور الاستشراق الجديد بشقيه الأكاديمي والإعلامي الذي يختلف اختلافاً كبيراً عن الاستشراق التقليدي واقترن الاستشراق في الوقت الراهن بدلالات لا يمكن حصرها في مفهومه الأكاديمي الصرف، حيث تحوَّل من الاستشراق التقليدي إلى هذا

الاستشراق الجديد الذي له سماته الجديدة وأهدافه الخاصة وتحوَّل المستشرق إلى خبير ومتخصص عبر معاهد ومؤسسات بحثية تابعة للإدارة الأمريكية على وجه الخصوص وبدأ هذا التحول منذ عقودثم تحوَّل إلى صورته المعاصرة مع بداية القرن الحادي والعشرين، وأصبح له خطاب أيديولوجي تعزز بالخطاب الإعلامي فتغيرت معه نظرة الغربي إلى الآخر الشرقي، لا سيما العربي والمسلم ولعل هذا ما يشير إليه د. مصطفى عبد الغني، والواقع أنه لا يمكن فهم ما آل إليه حال الآخر الآن دون أن نشير إلى ما انتهت إليه دورة الاستشراق الغربي من غبن للشرق الإسلامي عبر مستشرقي الغرب على غبن أعنف عبر تحول الاستشراق التقليدي إلى تغييرات سلبية على يد الخبراء المستشرقين المعروفين خاصة عقب الحادي عشر من سبتمبر بفترة طويلة.

لقد ظهر تيار الاستشراق الجديد الخبراء في شتى الميادين بما فيه الميدان الإعلامي رويداً منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ووصل إلى أقصاه في ثوبه الجديد في عقد التسعينات من القرن الماضي إلى بداية القرن الجديد خاصة مع سعي رموز الإدارة الأمريكية وخبرائها لوضع الإسلام في مواجهة الغرب بدلاً عن العدو السوفيتي، وبعد أن تنبهت الإدارة الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى أنها في سبيل وراثة أوروبا في مستعمراتها كان لابد من تعلم كيفية التعامل مع هذا

الشرق، ومن ثَمَّ كان لابد أن يترجم هذا التنبه إلى عمل وإذا حاولنا تجميل الظروف التي سرّعت ظهور هذا التيار، نجدها على النحو الآتي:

١- سقوط الاتحاد السوفيتي: الذى ولّد فراغاً أيديولوجيًّا رهيباً، فكان لابد من البحث عن توازنات جديدة لملء هذا الفراغ الذي وصل إلى درجة الصفر، على حد قول آلان منك منذ قرون لم نعرف فراغاً أيديولوجيًّا مثل هذا، لقد تعودنا منذ العصر الوسيط على أن نهاية أية رؤية للعالم يتم تعويضها بأخرى لكن مع انهيار الشيوعية، فإننا نقترب من درجة الصفر للأيديولوجيا.

٢- صعود المد الإسلامي: لاسيما ما عُرف بالإسلام السياسي الذي شكّل في الخيال الغربي تحدياً وجب التصدي له خاصة مع زوال عدو الغرب الرأسمالي العدو الشيوعي الذي استوجب خلق عدو جديد فكان الإسلام الهدف الذي تم التنظير له، وترويج الخوف منه.

٣- الإحياء الديني: حيث شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين عودة الشعوب إلى أصولها الدينية، وتمسكها بتراثها الفكري والثقافي بعيداً عن الوافد الغربي الذي شكّل تحدياً لأصالتها، لاسيما الشعوب الإسلامية.

وقد تشكّل هذا التيار عبر خبراء استراتيجيين من أمثال: زبيجينيو بريزنسكي وهنري كيسنجر، وسياسيين من أمثال بول وولفويتز نائب

وزير الدفاع الأمريكي الأسبق وريتشارد بيرتي رئيس مجلس سياسة الدفاع في البنتاجون والرئيس الأسبق لوكالة المخابرات الأمريكية وجيمس وولسي عضو مجلس إدارة المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، ومنظّرين من أمثال: برنارد لويس الذي وصفه إدوارد سعيد بأنه أكثر صقور الفكر الأمريكي تهجماً على الإسلام، وصموئيل هنتنجتون صاحب نظرية صدام الحضارات، وفرانسيس فوكوياما صاحب نظرية نهاية التاريخ، وجون أولين مدير مركز الدراسات الاستراتيجية صاحب نظرة الحدود الدموية للإسلام ومايكا والتزر أستاذ الفكر اليساري وصاحب مقولة الحرب العادلة فضلاً عن التيار الإعلامي الذي يقوم بدور خطير في حركة الاستشراق الجديدة ذات الصنع الأمريكي، من أمثال: جوديت ميللر الصحفية في جريدة نيويورك تايمز ودانيال بايبس الكاتب والإعلامي الصهيوني المتطرف، وغيرهم.

يعتبر الاستشراق الإعلامي أحد إفرازات مؤسسة الاستشراق المعاصرة، حيث أصبح يشكّل خطورة أكثر من الاستشراق التقليدي الذي لا يقرأ كتاباته سوى المتخصصون، في حين أن مادة الاستشراق الإعلامي في متناول الجماهير مباشرة عبر وسائل الإعلام المختلفة.

وأصبح الاستشراق الإعلامي في ظل العولمة مصدر المادة الإعلامية في مختلف وسائل الإعلام الغربية المعاصرة، خاصة حول الإسلام

والعالم العربي والإسلامي، حيث أصبحت مراكز الإعلام الغربية المختلفة تعتمد على المستشرقين المتخصصين في شؤون العالم العربي والإسلامي وفي الوقت ذاته، هم متخصصون في الإعلام أو لهم علاقات حميمة مع وسائل الإعلام فانتقل تأثير الاستشراق من الحيز الضيق إلى أوسع نطاق.

وليس معنى هذا الكلام أن الاستشراق الأكاديمي التقليدي، قد تقلّص وتراجع أمام الاستشراق الإعلامي بل فقط غيّر ثوبه وظل هو الأساس، يسيّر الهيئات العلمية الأكاديمية ويضع الخطط والمشاريع العلمية ويكمّله الاستشراق الإعلامي الذي يقوم بدور المشهّر له في وسائل الإعلام، لذلك نجد الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص، تشجع فكر الاستشراق بشقيه الأكاديمي والإعلامي نظراً للتداخل الشديد بينهما، ولأهميتهما ودورهما الوظيفي في تشكيل الخلفية الأيديولوجية لسياسة الغرب الراهنة يقول نديم قاسم نجدي: حسبنا أن زمن الاستشراق التقليدي قد تقلص إلى أقلّ مما كان يجاهر به بلفور في زمن الاستعمار المباشر، نتبين من اختزال جولياني للغير، ومن خلال تعميم إطلاقاته القيمية، أن الاستشراق التقليدي لم ينقض، بل تربص في مخيلة الغربيين على شاكلة نعت جولياني الشمولي لدول إرهابية، ودول ديمقراطية ليبرالية.

إن الاستشراق التقليدي الأمريكي هو الذي تحول مع المتغيرات الدولية الجديدة إلى هذا الاستشراق الجديد - فنة الخبراء على المستوى الأكاديمي والإعلامي فأصبحا فنة واحدة سواء عادت الأصول إلى أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية ولهذا نجد الغرب والإدارة الأمريكية على وجه الخصوص، تشجع هذا التيار أيما تشجيع والتشجيع الأمريكي لفكر الاستشراق ليس جديداً، بل قديم منذ النصف الثاني من القرن العشرين حيث قامت وزارة الدفاع الأمريكية باستصدار قانون يخوّل لها الإنفاق بسخاء شديد على برامج الدراسات العربية والإسلامية وبرامج دراسات الشرق الأوسط في الجامعات الأمريكية،وفي مراكز البحوث والمؤسسات العلمية المختلفة بل استعانت لهذا الهدف بعديد من المستشرقين الأوروبيين، الذين تركوا بلادهم عقب الحرب العالمية الثانية إلى أمريكا لاحتياج الإدارة الأمريكية لهم ويستطيع الباحث في هذه الفترة أن يرصد مئات من مؤسسات البحث ومراكز الدراسات وأقسام الشرق الأوسط والمعاهد العلمية الأمريكية، لم تلبث أن أصبحت عصب السياسة الأمريكية التي تمد الإدارة السياسية بما تريده عن هذا الشرق وبهذا نلحظ أن عدداً من المستشرقين التقليديين الآتين من أوروبا انتقلوا إلى مثل هذه المراكز، خاصة أولئك الذين كانوا قد عملوا في بلاد عربية وإسلامية، فقدموا ثمرة خبراتهم وبحوثهم للكونجرس والمخابرات الأمريكية في جلسات خاصة في صيف وخريف عام ١٩٨٥ومثال على

تلك البرامج المشروع الذي قامت به جامعة شيكاغو قسم اللاهوت، وموّلته الأكاديمية الأمريكية للعلوم والآداب وهو مشروع حول الأصولية، خاصة في العالم العربي والإسلامي، كان هدف هذا المشروع محاولة فهم الأطر التاريخية المعاصرة للحركات الأصولية والطبيعة الاجتماعية والسيكولوجية والدينية للأصولية، والنتائج التي تترتب عن وصول هذه الحركات إلى السلطة وتأثيرها في الحكم والحياة السياسية والاقتصادية والتشريعية وعلى التعبير الثقافي والتنظيمات المدنية كما هدف المشروع إلى إعداد بنوك لتخزين المعلومات عنها والتي يمكن استعمالها بواسطة صناع القرار السياسي الذين يبحثون عن الوسائل المناسبة للتصدي لظاهرة الأصولية وقد قامت جامعة شيكاغو قسم اللاهوت بعقد مؤتمر لمناقشة المشروع عرضت ما جاء فيه مجلة شؤون الشرق الأوسط، وقدمت نقداً لهذا المؤتمر

ولعل أكثر القراءات عدوانية التي روّج لها الاستشراق الإعلامي، هو الخطر الإسلامي على العالم واعتبار العالم العربي والإسلامي عدوًّا جديداً يهدد الغرب هذه القراءة التي هيمنت على غيرها من القراءات الأخرى ووضعت مستقبل العلاقة بين الطرفين في اضطراب شديد، كما وضعت الإعلام في الوطن العربي على وجه الخصوص أمام تحدٍّ كبير من أجل تصحيح هذه الصورة المشوهة.

لقد سخّر الغرب استراتيجياته لتخويف العالم من الإسلام ومن العرب والمسلمين،لاسيما الاستراتيجية الإعلامية في ظل الاستشراق الإعلامي حيث لعبت وسائل الإعلام دوراً خطيراً في تنامي الخوف من الإسلام في أذهان الغربيين، إذ لم تدخر وسعاً في تشويه ما يرتبط بالعالم الإسلامي ديناً وحضارةً وشعوباً مسالمة واستغلت عمليات مسلحة صغيرة هنا وهناك لتشويه صورة العالم الإسلامي وإعطاء صورة غير سليمة عن المسلمين وكأنهم مجموعة من الوحوش غير العقلانيين، حتى أن نيكسون يذكر أنه ليس هناك شعب له صورة سلبية عند الأمريكيين بالقدر الذي للعالم الإسلامي ولكي تثبت هذه الصورة المشوهة في الخيال الغربي والأمريكي على وجه التحديد، ترجمت إلى مشاهد مثيرة في المسلسلات والأفلام التي تلقى رواجاً كبيراً يقول بشارة خضر: صورة السينما هي الصورة الأكثر خدعة ودسًّا، فهنا التمويه واضح، وأسلوب التأثير وتوجيه الرأي خفي دقيق فالسينما تركز في بضع لقطات كل ما يتعلق بسوء الفهم التاريخي القائم بين الغرب والشرق، بين الإسلام والعالم المسيحي، بين العرب وأوروبا وهكذا ينظر إلى الشرق غالباً على أنه نقيض الغرب، فهو العاطفة مقابل العقل، والعنف مقابل الهدوء، والتقليد مقابل الحداثة، والحريم مقابل نظام الزوجة الواحدة، والحكم الفردي مقابل الديمقراطية، وباختصار الوجه الآخر للذات الغربية المثالية وقد أجريت دراسات حول الدور السيئ الذي لعبته السينما في

تمثيل المشرق العربي والصورة التي تبثها هي الأصعب محواً، وتعمل في الغالب خفية على تكييف تصورات الأشخاص عن الشرق والإسلام والعالم العربي إضافة إلى الصحافة المكتوبة على وجه التحديد، حيث يرى إدوارد سعيد أنه يصعب الحديث عن صحافة مستقلة حقًّا في الولايات المتحدة الأمريكية فالمصالح التجارية والحكومية المتشابكة ترتبط بوسائل الإعلام أو تقيدها، حيث تمنع وسائل الإعلام من الانطلاق الحر وراء الحقائق التي يودّ صحفي طموح ونشيط كشفها خاصة أن المجموعة الصغيرة صاحبة الخبرة المزعومة في موضوع الإسلام تحتكر الحديث عنه في وسائل الإعلام المكتوبة، والإلكترونية بشكل شبه كامل منذ نهاية الحرب الباردة ويعطي أمثلة: برنارد لويس الأستاذ المتقاعد بجامعة برنستون، وجوديت ميللر الصحفية في جريدة نيويورك تايمز، وفؤاد عجمي رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط بمعهد الدراسات المتقدمة بجامعة جون هوبكنز والمستشار لدى محطة (سي. بي. سي)، وستيف إيمرسون صاحب فيلم الجهاد في أمريكا، ودانيال بايبس هذا الأخير الذي يصفه إدوارد سعيد بأنه ينحاز بصراحة وعناد إلى صف المستشرقين الاستعماريين من أمثال: سنوك هورفروييه ونايبول بحيث يتاح له استسهال مراقبة الإسلام والحكم عليه.

العولمة الإعلامية وواقع الإعلام العربي

ان تفوق القدرات الإعلامية يشكل ظاهرة من أخطر الظواهر التي تواجهها الأمة في الألفية الثالثة لأن هذا التفوق يقترن بتحكم استعماري فى عقول أبناء الدول المتخلفة وبالتالي فانه يعتبر اختراق للآخر وسلبه خصوصيته وإبعاده عن هويته الأصيلة لذا تظل العولمة الموضوع الأكثر حضوراً في الفكر العالمي المعاصر وتظل الأكثر إثارة للجدل والعولمة الإعلامية تبرز أهمية جمع المعلومات لاعتبارات شتى تقود إلى معرفة القوة الحقيقية للدولة فالمعلومات المتحققة سواء أكانت اقتصادية أم سياسية أم ثقافية أم دينية أم اجتماعية zتيح فرصة التأثير في الاتجاهات المطلوبة فمعرفة المعلومات قوة لذا فإن فلسفة صناعة الإعلام هي المعلومة أو بمعنى آخر المضمون الإعلامي فكان هذا الإغراق للدول بالمواد الإعلامية على اختلاف أنواعها بقصد التأثير في عقول الناس واختراقها والسيطرة عليها وتسويقها من هنا يقول ألفين توفلر في كتابه حضارة الموجة الثالثة المعرفة هي المحور الذي ستدور حوله حروب المستقبل وثوراته الاجتماعية إنها القاعدة الأساسية لظاهرة العولمة وكما يقول سارتر : من الصورة إلى الرسم ومن الرسم إلى تبيانه ومن تبيانه إلى الكلام يوجد استثمار تدريجي للمعرفة وبالتأكيد فإن أدوات الاتصال تمارس دوراً مساعداً وخطيراً في تحقيق الامتصاص اللاواعي للآخر إلى حد التلاشي ، بشراء رموز الغير وثقافته من خلال إنتاجه المادي وهو ما يقوم باستغلاله الآخر المنتج في إقناع المستهلك بصدق

الصورة التي يروجها وتجاوب المستهلك مع رسالة المنتج نجاح عملية الاتصال المركبة التي تمت لذلك فوضع العرب اليوم لما يتلقونه من الخارج وضع المستسلم دون قدرة على مواجهة هذا المد الإعلامي فالعقل العربي يبدو متلقياً أو معزولاً ومؤطراً بأشكال ومنظومات من إنتاج العقل الغربي وهذا يؤدي إلى اغتراب الذات والانخداع بمظاهر الاستهلاك وكما يقول رولان بارت في كتاب ميثولوجيات صفحة ٣١و٣٢: انه يدعو المستهلك إلى صيغة من الصيغ المنعشة للمادة ويجعله شريكاً لا مستفيداً من النتيجة فحسب بل المادة هنا تزود بحالات من القيم وتنتشر هذه الحالة على مساحة عريضة بدءاً من مجلات الأزياء المصورة وآخر صرعات الموضة الغربية التي تعارض الخصوصية القومية والهويات الثقافية إلى تقليد نجوم السينما والموسيقى والغناء إلى حد تشويه صورة وطابع الهويات الغنائية للشعوب والأمم وقد جاءت تقنية الفيديو كليب لتضيف رصيداً صارخاً من تغريب التراث الموسيقي في أغلب الدول حيث يطرح شرائط منقولة عن أفلام أجنبية مليئة بالمشاهد المتعارضة مع قيمنا وطبيعتنا الشرقية كل ذلك يدخل بيوتنا وكأنه شيء علينا القبول به مع صورة الاستلاب التي يمارسها الغرب ضدنا وفي كل لحظة كما أنها تشكل أذواق الجماهير العربية التي بفضل عامل الانبهار تعدها أعلى درجات الإبداع وتؤخذ نموذجاً يحتذى وقدوة في مجال التصرف والتفكير.

العلاقة بين الإعلام المرئي والعولمة

ان العلاقة بين الإعلام المرئي والعولمة كانت علاقة متواصلة لكنها مخفيه، وحتى فى وقتنا الحاضر لاتسير بوتيرة واحدة طبيعية، بل شهدت تفاوت وتنوع في أشكال التواصل نظراً للتقدم وللدور الذي لعبته السياسات المختلفة للدول المتقدمة من اقتصادية وثقافية مختلفة أثرت على تركيبة وبنية المجتمعات النامية للعمل على نشر ظاهرة العولمة في مختلف دول العالم وما ترتب على ذلك من حالة التبعية والتقليد من قبل الكثير من الدول والمجتمعات النامية المصنفة ضمن دول المحيط إلى الدول المتقدمة (دول المركز) بالاضافة الى وقوف دول المركز لنشر ظاهرة العولمة باعتباره من العوامل الخارجية فيوجد العديد من العوامل الأخرى الداخلية لدى دول المحيط تساعد في انتشار العولمة وتقبلها دون رفض وهي العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية والديمجرافية للمجتمعات والعلاقات بين الناس والسلوك عندهم كما أن حالة الصراع وعدم الاستقرار الثقافي والاجتماعي بين القديم والجديد تؤدي في الأغلب الى انتصار الجديد واستمرار ذلك الصراع لفترة طويلة بعد أن كان يتم من خلال الغزو الثقافي من الدول المتقدمة وتأثيرها على الدول الأخرى لنشر ظاهرة العولمة ومن أهم المؤثرات التي تعمل على ذلك التغيير والإسراع فيه بشكل عام وسائل الأعلام خاصةً التلفزيون الذي يعتبر من وسائل الاتصال الجماهيري في مختلف المجتمعات والدول

فللتلفزيون أثر كبير في تربية أفراد المجتمع منذ نشأتهم أطفالا وحتى مرورهم بفترات الحياة المختلفة ولا بد من ذكر ان للتلفزيون أثر كبير في ترك الكثير من القيم والعادات والتقاليد والسلوك عند المواطنين في المجتمع.

ان الثورة في وسائل الإعلام خاصة التليفزيون أدت إلى بروز وجهات نظر مختلفة حول العلاقة بينها وبين العولمة فهناك من يعتبر أن وسائل الإعلام مسخرة للعولمة ومرافقة لعملية العولمة حسب المصالح والحاجات للدول الرأسمالية التي تدفعها لانتشار العولمة هذا الرأي يعتبر وسائل الإعلام خاصة المرئية من وسائل انتشار العولمة يظهر ذلك في دراسة لـ د.صادق جلال العظم عن العولمة حيث جاء فيها ان عمليات العولمة وقواها افضل في الصراع والتنافس بين الثقافات والأمم، توظف فيها المعلومات والثقافة العليا والميديا في التحكم والسيطرة على مقدرات العالم.[1]

وبما ان العولمة مرتبطة او ارتبطت بالتقدم العلمي ووسائل الإعلام تعتبر من التقدم العلمي الحادث لذلك فهي مرافقة لعملية العولمة ومسخرة لخدماتها وانتشارها فى مختلف دول ومجتمعات العالم لأن

[1] حسن حنفي و صادق جلال العظم ،**ما العولمة؟**، مرجع سابق ، ص74.

العولمة أصبحت من السياسات المتبعة في الدول المتقدمة بعد حدوث التقدم بمختلف أشكاله خاصة التقدم التقني والتكنولوجي.

ان وسائل الاعلام خاصة المرئية تعمل على نقل الأنماط الثقافية المختلفة من خلال عملية الغزو الثقافي التي تقوم باجتياح معظم دول ومجتمعات العالم خاصة الدول النامية ومنها الدول العربية حيث تبين ذلك فى احدى الدراسات التى جاء فيها إن التنميط الثقافي يتم باستغلال ثورة وشبكة الاتصالات العالمية وهيكلها الاقتصادي الإنتاجي والمتمثل في شبكات نقل المعلومات والسلع وتحريك رؤوس الأموال [1].

كما يؤكد السيد احمد مصطفى عمر في دراستة عن الأهداف الخاصة بوسائل الإعلام القائمة على نشر العولمة باعتبارها وسيلة من وسائلها حيث يقولان الأهداف التي يرمي إليها إعلام العولمة، وان كانت ذات طبيعة سياسية واقتصادية في مظهرها الخارجي، إلا أن جوهرها يرمي إلى نشر ثقافة جديدة تجعل مسألة قبول الأفكار السياسية والاقتصادية للعولمة مسألة مقبولة وممكنة، وهذا لن يأتي إلا إذا

---

١ ـ اعلام العولمة ـ السيد احمد مصطفى عمر، مجلة المستقبل العربي، عدد 256، ص 74.

عمل الإعلام على تغيير ما يعتقده دعاة العولمة بأنها عقبات تعترض الطريق نحو تحقيق أهدافه.